الفَصْلُ الثَّالِثُ

خُطَبٌ سياسيّةٌ خَارِجيّةٌ

(١) خُطْبتان لِحيَّان بنِ ظَبْيانَ السُّلميِّ

١ ـ خُطْبةُ لحيَّانَ بنِ ظَبْيانَ بالرَّيِّ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ١٧٣

كانَ حيَّانُ بنُ ظَبْيانَ السُّلميُّ يَرَى رأيَ الخوارجِ، وكان ممن ارتُثَّ[١] يومَ النَّهروانِ[٢]، فعفَا عنه عليٌّ عليه السلام في الأربعمائةِ الذين كان عَفَا عنهم من المرتثِّين يوم النَّهرِ، فكان في أهلِهِ وعشيرته، فلبثَ شهراً أو نحوَه. ثم إنَّه خَرَجَ إلى الرَّيِّ في رجال كانوا يرون ذلك الرأي، فلم يزالوا مُقِيمينَ بالرَّيِّ حتى بلغهم قتلُ عليٍّ كرَّم اللهُ وَجْهَهُ، فَدَعا أصحابَهُ أولئك، وكانوا بضعةَ عشر رجلاً، أحدُهم سالمُ بنُ ربيعَة العَبْسيُّ، فأتوْه، فَحَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه، ثم قالَ :

« أيُّها الإخوانُ من المسلمينَ، إنَّه قد بَلغني أنَّ أخاكم ابنَ ملجم أخا مُرادٍ، قَعد لِقَتْلِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ عند أغباشِ[٣] الصُّبح، مُقابل السُّدّةِ التي في المسجدِ، مسجدِ الجماعةِ، فلم يَبرحْ راكداً ينتظرُ خُروجَه، حتى خَرَج عليه، حين أقامَ المقيمُ الصّلاةَ، صلاةَ الصُّبْحِ، فشدَّ عليه، فضربَ رأسَهُ بالسيف، فلم يَبْقَ إلاَّ ليلتينِ حتى ماتَ».

٢ ـ خُطْبةُ لحيَّانَ بنِ ظَبْيان بالرَّيِّ

تاريخ الرسل والملوك٥: ١٧٣

خَطَبَ حيَّانُ بنُ ظَبْيانَ السُّلميُّ أصْحَابَهُ بالرَّيِّ، فقال :

« إنَّهُ وا للهِ ما يَبْقَى على الدّهرِ باقٍ، وما تَلبث اللَّيالي والأيامُ والسُّنُونُ والشُّهورُ على ابنِ آدم حتى تُذيقَهُ الموت، فيُفارقَ الإخوانَ الصَّالحينَ، ويدَعَ الدُّنيا التي لا يَبْكي

---

(١) ارتُثَّ : صُرِعَ في الحربِ وأثْقَلَتْهُ الجراحُ وأوْهَنَتْهُ، فَحُمِلَ من المعركةِ وبه رَمَقٌ .

(٢) النهروان : ناحية واسعة بينَ بغدادَ وَواسطٍ من الجانب الشرقي، كان بها وقعةٌ مشهورة لعلي ابن أبي طالبٍ مع الخوارج .

(٣) الأغباش : جمع غَبَشٍ، وهو بَقيَّةُ الظُّلْمةِ يُخالطها بياضُ الفجر .

عليها إلاَّ العَجَزةُ، ولم تزلْ ضارّةً لمنْ كانتْ له همَّاً وشَجَناً[١]. فانْصَرِفوا بنا رَحِمكم الله إلى مِصْرِنا، فلنأتِ إخوانَنا، فلندْعُهم إلى الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وإلى جهادِ الأحْزاب، فإنَّهُ لا عُذرَ لنا في القُعودِ، ووُلاتُنا ظَلَمةٌ، وسُنَّةُ الهُدَى متروكةٌ. وأثآرنا[٢] الذين قَتلوا إخوانَنا في المجالسِ آمِنونَ، فإنْ يُظفرْنا الله بهم نَعمِدْ بعدُ إلى التي هي أهدَى وأرضَى وأقوَم، ويَشفي الله بذلك صُدُور قوم مؤمنينَ، وإن نُقتلْ فإنَّ في مفارقةِ الظَّالمين راحةً لنا، ولنا بأسْلافِنا أسوةٌ».

(١) الشَّجَنُ : الحاجة التي تُهِمُّ .

(٢) الأثآر : جمع ثأر، وهو قاتلُ حَمِيمكَ . ويقال: فلانٌ ثأري: أي: الذي عنده دَخْلي .

(٢) خُطْبَتانِ لصالحِ بنِ مُسرِّحٍ التَّميميِّ

١ ـ خُطْبَةٌ لصالحِ بنِ مُسَرِّحٍ بالجَزيرةِ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٢١٦
والكامل في التاريخ ٤: ٣٩٣
وشرح نهج البلاغة ٤: ٢٢٥

كانَ صَالحُ بنُ مُسرِّحٍ التَّميميُّ رَجُلاً ناسكاً، مُصْفَرَّ الوَجْهِ، صاحبَ عبادةٍ . وكان لـه بِدارا وأرض المَوْصلِ والجزيرة أصحابٌ يُقرئُهم القرآنَ ، ويُفقِّهُهم، ويَقُصُّ عليهم، وكان قَصَصُه :

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام: ١]

اللهمَّ إنّا لا نَعدلُ بك، ولا نَحْفِدُ[١] إلاّ إليـك، ولا نَعبـدُ إلاّ إيّـاك، لـك الخَلْقُ والأمرُ، ومنك النَّفعُ والضرُّ، وإليك المصير. ونَشهد أن محمَّداً عبدُك الذي اصطفيتَـه، ورسـولُك الّذي اخْتَرْتَه وارتضَيتَه لتبليغِ رسالاتِكَ، ونصيحةِ عبادِكَ. ونَشهد أنّه قـد بَلّـغ الرسـالة، ونَصَح للأمَّةِ، ودَعَا إلى الحقِّ، وقامَ بالقِسْطِ[٢]، ونصرَ الدِّيـنَ، وجـاهَد المشـركينَ، حتّـى توفّاه ا لله ﷺ . أوُصيكم بتقوَى ا لله، والزُّهـدِ في الدنيـا، والرَّغبـةِ في الآخـرةِ، وكـثرة ذكرِ الموتِ، وفراقِ الفاسقينَ، وحُبِّ المؤمنينَ، فإنَّ الزَّهادة في الدنيا تُرغِّبُ العبدَ فيما عند ا لله، وتُفرِّغُ بدنَه لطاعةِ ا لله. وإنَّ كثرةَ ذِكرِ الموتِ يُخيفُ العبدَ من ربِّه حتى يَجأرَ إليه[٣]، ويستكين لـه. وإنَّ فـراق الفاسـقينَ حـقٌّ علـى المؤمنـين، قـال ا لله في كتابـه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة : ٨٤]. وإنَّ حُـبَّ المؤمنين لَلسَّببُ الّذي تُنال به كرامة ا لله ورحمتُه وجنّتُه. جعلنا ا لله وإيّاكم من الصَّادقينَ الصَّابرين. ألا إنَّ مِن نعمةِ ا لله على المؤمنينَ أنْ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسـهم، فعلَّمهـم الكتابَ والحكمةَ، وزَكّاهم[٤] وطَهَّرهم وَوفقهم في دينهم، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً،

(١) نَحْفِدُ: نُسْرِعُ في العمل والخدمة بطاعة ا لله .
(٢) القسط: العدل.
(٣) يجأر إلى ا لله : يتضرع إليه بالدُّعاء .
(٤) زَكّاه : طَهَّرَهُ .

حتّى قبضه الله، صلواتُ الله عليه. ثمّ وليَ الأمر من بعدهِ التقيُّ الصدِّيقُ على الرِّضا من المسلمينَ، فاقتدَى بهدْيِهِ[١]، واستنَّ بسُنَّته، حتى لحَقَ بالله، رحمه الله. واستَخلف عمرَ، فوَلاَّه الله أمرَ هذه الرعيَّة، فعَمِلَ بكتابِ الله، وأحيا سُنَّة رسولِ الله، ولم يَحْنَقْ في الحقِّ على جرَّته[٢]، ولم يَخَف في الله لومةَ لائمٍ، حتى لَحِقَ به، رحمة الله عليه. ووليَ المسلمينَ مِن بعده عثمانُ، فاستأثرَ[٣] بالفَيء[٤] وعَطَّلَ[٥] الحدُودَ، وجارَ في الحُكْم، واستَذَلَّ المؤمن، وعَزَّز المجرمَ. فسار إليه المسلمونَ فَقَتلُوهُ، فبرئ الله منه ورسولُه وصالحُ المؤمنينَ! ووَلي أمرَ الناس من بعده عليُّ بن أبي طالب، فلمْ يَنْشَبْ[٦] أنْ حكَّم في أمر الله الرِّجالَ، وشَكَّ في أهل الضلال، ورَكَنَ وأدْهَنَ[٧]، فنحن من عليٍّ وأشياعهِ بُراء. فَتيسَّروا رحمكم الله لجهادِ هذه الأحزابِ المتحزِّبة، وأئمةِ الضلالِ الظَّلمةِ، وللخروج من دارِ الفَناءِ إلى دار البقاء، واللِّحاقِ بإخواننا المؤمنينَ الموقنينَ الذينَ باعوا الدنيا بالآخرة، وأنفقوا أموالَهم التماسَ رضوان الله في العاقبة. ولا تَجْزَعُوا من القتل في الله، فإنَّ القتل أيْسرُ من الموتِ، والموتُ نازلٌ بكم غيرَ ما تَرْجُمُ الظنونُ، فمفرِّقٌ بينكم وبين آبائكم وأبنائكم، وحلائِلِكم ودنياكم، وإن اشتدَّ لذلك كُرْهُكم وَجَزَعُكم. ألا فَبِيعوا الله أنفسَكم طائعين وأموالَكم تَدْخُلوا الجنةَ آمنين، وتُعانِقُوا الحُورَ العين. جعلنا الله وإيَّاكم من الشاكرينَ الذاكرينَ، الذين يَهْدون بالحقِّ وبه يَعدِلون».

---

(١) الهَدْي : الطَّريقةُ والسِّيرة .

(٢) الجِرَّةُ: ما يُجِرجِرُهُ البعيرُ من بَطْنِهِ لِيَمْضَغَهُ ثم يَلْعَهُ . ومنه حديث عمر بن الخطاب : « لا يَصْلُحُ هذا الأمرُ إلاَّ لمن لا يَحْنَقُ على جِرَّتِهِ»، أي لا يَحْقِدُ على رَعِيَّتِهِ. فَضَرَبَ الجِرَّةَ لذلك مثلاً. (اللسان : جرر).

(٣) استأثر بالشيء : انفردَ به .

(٤) الفيء : الغَنيمةُ والخراج .

(٥) عطَّلَ الحُدودَ : لم يُقِمْها على مَنْ وَجَبَتْ عليه .

(٦) لم يَنْشَبْ أنْ فَعَلَ كَذا : لم يَلْبَثْ. وحقيقتُهُ لم يَتَعَلَّقْ بشيءٍ غيرِهِ، ولا اشتغل بسِواه .

(٧) أدْهَنَ : صانَع ولاَنَ.

٢ ـ خُطْبَةٌ لِصَالِحِ بنِ مُسرِّحٍ بالجزيرة

تاريخ الرسل والملوك٦: ٢١٨

بَيْنَا أصْحابُ صَالِحِ بنِ مُسَرِّحٍ يَختَلِفُونَ إليه إذ قالَ لهم ذات يومٍ :

«ما أدري ما تَنتَظِرُونَ! حتّى متى أنتم مُقيمون! هذا الجوْرُ قد فَشَا، وهذا العَدْلُ قد عَفَا، ولا تَزدادُ هذه الولاةُ على الناس إلاّ غُلُوًّا[1] وعُتُوًّا[2]، وتباعداً عن الحقِّ، وجُرأةً على الرَّبِّ. فاسْتعِدُّوا وابْعَثُوا إلى إخوانِكم الذين يُرِيدونَ من إنكارِ الباطل والدعاءِ إلى الحقِّ مِثلَ الذي تُريدونَ ، فيأتوكم فَنَلْتقي وننظرُ فيما نحنُ صانعون، وفي أيِّ وقتٍ إن خرجْنا نحن خارجون».

(١) الغُلُوُّ في الأمر : الإفراطُ فيه ومجاوزةُ الحدِّ .

(٢) العُتُوُّ : التّجَبُّرُ والتّكبُّرُ .

(٣)

١ ـ خُطْبةُ لعبدِ اللهِ بن يحيى الكِنْديِّ المُلَقّبِ بطالبِ الحَقِّ بِصَنْعاءَ

أنساب الأشراف ٩: ٢٨٧
والأغاني ٢٣: ٢٢٦
وشرح نهج البلاغة ٥: ١٠٧

لَمّا اسْتَوْلَى عبدُ اللهِ بن يحيى على بلادِ اليَمنِ خَطَبَ، فقال:

« الحمدُ للهِ المُتحمِّدِ[١] بالآلاءِ[٢]، المَنّانِ[٣] بالنعماءِ[٤]، ذي الأمرِ الغالبِ، والدِّينِ الوَاصِبِ[٥]، أحْمدُه في الضَّراءِ، وأشكُرُه في السَّرّاءِ، وأسْتعينُهُ على احتجاجِهِ علينا، وأسْتَهْديه لما يُرضيهِ، وأؤمن به إسلاماً وإيماناً. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسوله المصطفى وَنبيُّهُ المُرْتَضَى، أرْسَلَهُ بالحقِّ على حينِ فَتْرةٍ[٦] من الرُّسُلِ، وكُفْرٍ من المِلَلِ[٧]، واختلاف من الدُّوَلِ[٨]، والتباسٍ[٩] من الحقِّ، وانْسِحاقٍ[١٠] من الصِّدقِ، وظهورٍ من الأعداء، وبُعْدٍ من الألفةِ[١١]. وأنْزَلَ عليه الكتابَ، وشرعَ له الشرائع[١٢]، وفرضَ له الفرائض[١٣]. فقام بأمرِ اللهِ صادِعاً[١٤]

---

(١) المُتحمِّد: المَحْمُود . ومن أمثالهم : « مَنْ أنفقَ ماله على نفسِهِ فلا يَتَحمَّدْ به إلى الناسِ». المَعْنَى أنه لا يُحْمَدُ على إحْسَانِه إلى نفسه، إنما يُحْمَدُ على إحسانِهِ إلى الناس. (اللسان : حمد، وانظر مجمع الأمثال ٣: ٣٤٠) .

(٢) الآلاء: النِّعَمُ، واحدُها ألًى وإلْيٌ وإلًى .

(٣) المَنّان: المُعْطي المُحْسِنُ المُنعِمُ الذي يُنعِمُ غيرَ فاخر بالإنعام.

(٤) النّعماء مثل النعمةِ والنُّعْمى : الخَفضُ والدَّعةُ والمالُ، وهي ضد البأساء والبؤسى .

(٥) الواصبُ: الدائم الثّابتُ ، أي طاعته دائمةٌ واجبةٌ أبداً .

(٦) الفترة: ما بين كلِّ رَسُولَيْنِ من رُسُلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ من الزمان الذي انقطعت فيه الرِّسالة .

(٧) المِلَلُ: جمع مِلّةٍ، وهي الشَّريعة والدِّين، والسُّنَّةُ والطَّريقة .

(٨) الدُّوَلُ: جمع دَوْلةٍ ، وهي الانتقال من حالٍ إلى حالٍ، والمراد الأحوال .

(٩) الالتباس : الاختلاط .

(١٠) الانْسِحاق : الانطِماسُ والامّحاء والاندثار والعَفَاءُ والبَلاءُ .

(١١) الألفة : المحبة .

(١٢) شرعَ له الشرائعَ : أي: بَيَّنَ له اللهُ تعالى ما سَنَّ من الدِّين وأمَرَ به كالصوم والصَّلاة والحجِّ والزَّكاةِ وسائر أعمالِ البرِّ ووَضَّحَهُ .

(١٣) فرضَ له الفرائض : أي: فَصَّلَ له اللهُ تعالى حُدُوده التي أمَرَ بها ونَهى عنها وبيّنها .

(١٤) صَدَعَ بالحقِّ : تكلم به جهاراً .

بالحق، ناطقاً به، زاجراً [١] عن الشُّبُهات[٢]، داعياً إلى النَّجاة، مجاهداً للمعاندين[٣]، رؤوفاً بالمؤمنينَ، عزيزاً عليه عَنَتُهُم[٤]، حبيباً إليه صَلاحُهم، حتى كَمَلَ الإيمانُ، وأخسيء[٥] الشيطانُ، وظَهَر النُّورُ، وزَهَقَ[٦] الباطل، وَذلَّ الكُفْرُ، وانقطعت[٧] الأحقادُ، وسَلِمَتِ[٨] الصُّدُورُ. فجمَعَهُمْ بعد التَّفرق، وأمنَّهم بعد الخوفِ، فأصْبَحُوا على نعمٍ مذكورة، وكرامةٍ مشهورة، ودينٍ مَقْبُولٍ، وعِلْمٍ مَحْمُولٍ[٩] . ثم قَبَضَهُ الله إليه فقيداً، واختار له ما عندَهُ حميداً، صلى الله عليه وعلى ذكرِهِ السلامُ، ورحمةُ الله وبركاتُهُ . أيُّها الناسُ، إنَّكم حُذِّرتُمْ عظيماً، وخُوِّفتم جَسِيماً، لا تَبْلُغُه الصِّفاتُ، ولا تُحيط به الأوهامُ، العذابُ الأليمُ جَهَنَمُ، وسعيرٌ ولَظَى، والهاويةُ والحاميةُ، وسَقَرُ التي لا تُبْقي ولا تَذَرُ. نسأل الله مولانا وليَّ الإحسان أنْ يُجيرَنا[١٠] من عذابهِ الذي خَوَّفنا. أيُّها الناسُ، إنا نُخيِّركم بين ثلاثِ خصالٍ، أيُّها شئتم فَخُذُوه لأنفسكم، رَحِمَ الله امرأً أخذَ الخيارَ[١١] لنفسِه: إمَّا قالَ امرؤٌ بِقَوْلنا، ودانَ بالدينِ الذي دِنَّا، فَحَمَلَتهُ نِيَّتُهُ على أنْ يُجاهِدَ معنا بنَفسِه، فيكون له من الأجرِ ما لأفْضَلنا، ومن قَسْمِ الفيءِ[١٢] ما لِبَعْضِنا، أو قالَ

---

(١) زجره عن الشيء : نهاه عنه وانتهرهُ ومَنَعَهُ .

(٢) الشبهات : جمع شبهةٍ، وهي الالتباسُ واختلاطُ الأمر .

(٣) المعاندون : جمع معاندٍ، وهو المخالف الذي يَرُدُّ الحَقَّ ويأباه وهو يعرفه .

(٤) العَنَتُ : دُخولُ المَشَقَّةِ على الإنسانِ ولقاءُ الشِّدَّةِ .

(٥) أخْسيء الشيطانُ : طُرِدَ وأبْعِدَ ودُحِرَ .

(٦) زهق الباطلُ : بَطَلَ وهَلَكَ واضْمَحَلَّ .

(٧) انقطعتِ الأحقادُ : ذهبت وزالت وفنيت .

(٨) سَلِمتِ الصُّدور : صَحَّتْ وخَلصَتْ وبَرِئت .

(٩) العلم المحمول : أي: المنقولُ المحفوظ المتداول .

(١٠) أجارَهُ الله من العذاب : أنْقَذَهُ ونَجَّاهُ .

(١١) الخِيارُ : الاسم من الاختيار، أي: الاصْطفاءِ والانتقاء .

(١٢) الفيء : ما رَدَّ الله تعالى على أهل دينه من أموالِ مَنْ خالف دينه بلا قتال، إمَّا بأنْ يُجْلَوْا عن أوْطانهم ويُخلُّوها للمسلمين، أو يُصالحوا على جزيةٍ يُؤَدُّونها عن رؤوسهم، أو مالٍ غير الجزية يَفْتدُون به من سفكِ دمائهم . والمراد الغَنيمة والخراج .

هذا القولَ، ثم أقامَ في داره، فَدَعا الناسَ إليه بقلبِهِ ولسانِه، فَعَلَّهُ ألاَّ يكون ذلك أخسَّ[١] منازله، أو كَرِهَنَا فليخرجْ بأمانٍ إلى مالِهِ وأهله، وَيَكُفَّ عنا يَدَهُ ولِسَانَهُ، فإنْ ظَفِرْنَا لم يكن أعْرَضَ[٢] لنا نفسه، ولم يَحْمِلْنَا على سَفْكِ[٣] دَمِهِ، وإنْ قُتِلْنا كان قد كُفِيَ مَؤُونتنا،[٤] وَعَسى ألا يُعَمَّرَ بعدَنا إلاَّ قليلاً .

نَدْعُو إلى ا لله، وإلى كتابِهِ، وسُنةِ نبيه ﷺ ، ونجيبُ مَنْ دَعَا إليها. الإسلامُ دينُنا، ومحمدٌ نبيُّنا، والكعبة قِبْلَتُنَا والقرآن إمامُنا. رَضينَا بالحلالِ حلالاً لا نبْغي به بَدَلاً، ولا نَشْتَري به ثَمَناً. ولا قوة إلاَّ با لله، وإلى ا لله المُشْتَكى وعليه المُعَوَّلُ .

نَدْعُو إلى فَرائِضَ بيِّناتٍ محكماتٍ، وآثارٍ مُقْتَدَىً بها، ونَشْهَدُ أنَّ ا لله صادقٌ فيما وَعَدَ، عَدْلٌ فيما حَكَمَ .

نَدْعُو إلى توحيد الرَّبِّ، واليَقينِ بالوَعيدِ[٥]، وأداءِ الفرائِضِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ، والولايةِ[٦] لأهل ولاية ا لله. وإن من رحمة ا لله أنْ جَعَلَ في كلِّ فترةٍ بقايا من أهلِ العِلْم يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إلى الهُدَى، ويصبرون على الأَلمِ في جنْبِ[٧] ا للهِ، يُقتلونَ في سالفِ الدَّهرِ، فما نَسِيَهُمْ رَبُّهم ﴿وَمَاكَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مريم: ٦٤]. أوصيكم بتقوى ا لله وحُسْنِ القيامِ على ما وَكَّلَكُم[٨] بالقيام به، فأبلوا[٩] ا لله حسناً في أمرِهِ وزَجْرِه[١٠]» .

---

(١) أخسُّ منازله : أتفَهُها وأرْذَلُها .

(٢) أعْرَضَ لنا نَفْسَه : أمْكَنَنا منها، يقال: أعْرَضَ لك الظَّبْيُ وغيره، أي: أمْكَنَكَ من عُرْضِهِ، وكل شيء أمْكَنَك من عُرْضِهِ فهو مُعْرِضٌ لك ، ويقال : أعْرِض لك الظبيُ فارْمِهِ، أي: وَلاَّك عُرْضَهُ، أي: ناحيته.

(٣) سَفَكَ دَمَهُ : أراقَهُ وأجْراه، أي قتله .

(٤) مانه يَمُونُهُ مَوْناً ومؤونة : قام بكفايةِ أمرِهِ .

(٥) الوعيد : الإبعاد بالعقوبة .

(٦) الولاية : المحبَّة والنُّصْرَةُ .

(٧) في جنبِ ا لله: أي في جانبه وفي حَقِّه ، أو في قُرْبِهِ وجوارِه.

(٨) وَكَّلَهُ بالأمر : فَوَّضه إليه وكَلَّفَهُ إياه .

(٩) أبْلَى ا للهُ بلاءً حسناً : عَمِلَ واجْتَهَدَ في العَملِ .

(١٠) الزَّجْر : النَّهْي .

(٤) خُطَبٌ لأبي حَمْزَةَ المُخْتَارِ بنِ عَوْفٍ الأزْدِيِّ الشَّاري

١ ـ خُطْبَةٌ لأبي حَمْزَةَ المُخْتَارِ بنِ عَوْفٍ الأزْدِيِّ الشَّاري بمكَّة

أنساب الأشراف ٩: ٢٩٠
والبيان والتبيين ٢: ٩٩
وعيون الأخبار ٢: ٢٤٩
والعقد ٤: ١٤٤
والأغاني ٢٣: ٢٤٠
وشرح نهج البلاغة ٥: ١١٦

لَمَّا أَخَذَ أبو حَمْزَةَ المُخْتَارُ بنُ عَوْفٍ الأزْدِيُّ الشَّارِيُّ مكَّة[١] صَعِدَ المِنْبَرَ مُتَوكِّئاً على قَوْسٍ عَرَبِيَّةٍ، فحمدَ اللهَ وأثْنَى عليه، ثمَّ قال:

« أيُّها الناسُ، إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ كان لا يُقْدِمُ ولا يُحْجِمُ إلاَّ بأمرِ اللهِ وَوَحْيِهِ، أنزلَ عليه كتابَهُ، وبَيَّنَ له ما يأتي وما يتَّقي فيه. فلم يكنْ في شيءٍ من دينِهِ شبهة[٢] حتى قَبَضَهُ اللهُ إليه، وقد علَّمَ المسلمينَ معالمَ دِينه، وَوَلَّى أبا بكرٍ صَلاتَهُمْ، وهي عمادُ دِينهمْ، فَوَلاَّهُ المسلمونَ أمرَ دُنْيَاهُمْ، فقاتلَ أهلَ الرِّدةِ، وعَمِلَ بالكتابِ والسُّنةِ حاسراً عن ذِراعَيهِ[٣]، حتى قَبَضَهُ اللهُ إليه. رحمة الله عليه .

وَوَلِيَ عمرُ بعدَهُ، فسارَ سيرةَ مَنْ كانَ قَبلَهُ، وجَبَى[٤] الفَيْءَ[٥]، وأعْطَى الأَعْطِيةَ، ومصَّرَ الأمصار، ودوَّنَ الدَّواوينَ ، وجَمَعَ الناسَ على قيامِ شهرِ رَمَضانَ، وجَلَدَ في

(١) في بعض الرِّوايات أن أبا حمزة الشاري خطب هذه الخطبة بالمدينة .(انظر الأغاني ٢٣: ٢٤٠، وشرح نهج البلاغة ٥: ١١٦) .

(٢) الشبهة : الالْتِباسُ واخْتِلاَطُ الأمر .

(٣) حَسَرَ عن ذراعَيْه : أخْرَجَهُما من كُمَّيْهِ وكَشَفَ عنهما، والمراد خفَّ وأسرع .

(٤) جَبَى الخراجَ : جَمَعَهُ وحَصَّلَهُ واسْتَوْفَاهُ .

(٥) الفَيْءُ : ما رَدَّ اللهُ على أهْلِ دينه مِنْ أمْوالِ مَنْ خالفَ دينَهُ بلا قتالٍ، إمَّا بأنْ يُجْلَوْا عن أوطانِهم ويُخَلُّوها للمسلمينَ، أو يُصالِحوا على جِزْيةٍ يُؤَدُّونها عن رؤوسهم أو مالٍ غيرِ الجزيةِ يَفْتَدُونَ به من سَفْكِ دِمَائِهم. والمراد الغَنِيمةُ والخَرَاجُ .

الخمرِ ثمانينَ، وَغزا العدوَّ في ديارهم. ثم مَضَى لِسَبيلِه على مِنْهَاجِ[١] صاحِبه، وقد جَعَلها شُورَى. فَرحْمَةُ اللهِ عليه.

ثمَّ وَلِيَ عثمانُ، فسارَ دُونَ سِيرةِ صَاحِبَيْهِ ستَّ سِنين، ثم حَبِطَ[٢] فيما مَضَى له، ومضى لسَبِيلِهِ.

ثمَّ وَلِي عليُّ بنُ أبي طالبٍ، فكان على سَدادٍ[٣]، حتى حكَّمَ[٤] في كتاب الله، وشَكَّ في دينِه، فلم يَبْلُغْ من الحَقِّ قَصْداً[٥]، ولم يَرْفَعْ له مناراً[٦].

ثمَّ وَلِيَ معاويةُ، لَعِينُ[٧] رَسُولِ اللهِ ﷺ وابنُ لَعِينِهِ، فاتَّخذ عبادَ اللهِ خَوَلاً[٨]، ومالَ اللهِ دُوَلاً[٩]، ودينه دَغَلاً[١٠]. ثم مضى لسبيله ناكباً[١١] عن الحق، مداهناً[١٢] في الدين.

ثم وَلِيَ يزيدُ ابنُهُ، فَضَغْثٌ[١٣] لَعْنةِ رسول اللهِ ﷺ، وفاسقٌ[١٤] في بَطْنِهِ وفَرْجِهِ، فَمَضَى على مَنْهجِ[١٥] أبيه، لا يعرف معروفاً ولا يُنكر منكراً.

---

(١) المِنْهاجُ: الطَّريقُ الوَاضح.

(٢) حَبِطَ: عَمِلَ عَملاً ثم أفْسَدَهُ. وأحْبَطَ الرَّجُلُ عَمَلَهُ: أفْسَدَهُ. وأحْبطَ اللهُ عَمَلَه: أبْطَلَ ثَوابَه.

(٣) السَّداد: الصَّوابُ، والقَصْدُ من القَوْل والعَمَل.

(٤) حَكَّمَ في كتاب اللهِ: المراد أنه قَبِلَ أن يَحكُمَ الرِّجال بينه وبين معاوية بن أبي سفيان يومَ صفين، وهو الخليفةُ المبايع. وكان الخوارجُ يُسَمُّون المُحَكِّمَةَ لإنكارهم أمرَ الحكمين، وقولهم: لاحكمَ إلاَّ لله.

(٥) القَصْدُ: الغاية.

(٦) المنار: العلم.

(٧) اللَّعين: المُبْعَدُ المَطْرُودُ المَنْفيُّ.

(٨) الخَوَل: العبيد.

(٩) الدُّوَلُ: جمع دُولةٍ، وهو ما يُتداولُ من المالِ فيكون لقومٍ دون قومٍ.

(١٠) الدَّغل: الفساد.

(١١) نكب عن الحق: عَدلَ عنه ومال.

(١٢) داهنَ في الدِّين: صَانَعَ وَلاَنَ.

(١٣) الضغث: كل ما اقْتَطَعَ من شيءٍ أو تَفَرَّق. وفَضَغْثُ الماءِ: ما انْتَشَرَ منه إذا تُطُهِّرَ به، يقال: أصابه فَضَغْثٌ من الماء، أي: نَشْرٌ، وهو ما يَسيلُ على عُضْوِه إذا توضَّأ. وقالت عائشة رضي الله عنها لمروان: «إن رَسول الله ﷺ، لَعَنَ أباك وأنت في صُلبه، فأنت فَضَغْثٌ من لعنةِ الله». أي: قِطعَةٌ منها. (أساس البلاغة واللسان: فضغ).

(١٤) الفاسق: العاصي التارك لأمر الله عزَّ وجلَّ الخارج عن طريق الحقِّ.

(١٥) المنهج كالمنهاج: أي: الطريق الواضح.

ثم ولي مروان وبنو مروان، فسفكوا[١] الدَّمَ الحَرامَ ، وأكَلُوا المالَ الحرامَ، فأما عبدُ الملك فجعلَ الحجَّاجَ له إماماً و إلى النَّارِ قائداً . وأمَّا الوليدُ فَسَفِيه[٢] أحْمَقٌ[٣] مَنْهُوكٌ[٤] في الضَّلال يَخْبِطُها عَشْواءَ مُظْلمةً[٥]. وسليمان، وما سليمان؟ هَمُّهُ بَطْنُهُ وفَرْجُهُ. فالْعَنُوهم لَعَنَهُمُ ا للهُ، إلاَّ أنَّه قد كانَ منهم عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، هَمَّ فلم يَفْعَلْ، وقَصَّر عما همَّ به .

ثمَّ وَلِيَ بعَدَهُ يزيدُ بنُ عبدِ الملِك، فاسقٌ لم يُؤْنَسْ منه رُشْدٌ[٦]، وقال ا لله في اليتامى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[النساء: ٦]، فأمرُ أُمَّة محمدٍ أعظمُ من مال اليتيمِ، مَأْبُونٌ[٧] في بَطْنِهِ وفَرْجه، حِيك له بُرْدَان[٨] فارْتَدَى[٩] بأحدهما واتَّزرَ[١٠] بالآخرِ، ثم أقْعَدَ حَبَابَة عن يمينهِ وسَلاَّمةَ عن يَسارِهِ، وقال: يا حَبَابة غَنِّيني، ويا سَلاَّمة اسْقِيني، حتى إذا ثَمِلَ[١١] سُكراً ، وأخذتِ الخمرُ مأخَذَها منه شَقَّ ثَوْبَيْه ، وقد اتُّخذا بألفِ دينارٍ، بعد أنْ ضُرِبَتْ فيهما الأبْشَارُ[١٢]، وحُلِقَتْ الأشْعَارُ، وهُتِكَتْ الأسْتَارُ[١٣]، وأُخِذَ ما أُنْفِقَ

---

(١) سفك الدم : أراقه وأجراه .

(٢) السَّفيه: الجاهل الخفيف الحلم .

(٣) الأحمق: القليل العقل .

(٤) المنهوك في الضَّلال : الذي بَلَغَ جهده في الباطل .

(٥) هو يخبط خبط عشواء : أي يخطئ ويصيب كالناقة التي في بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا تتوقّى شيئاً. وهو مَثَلٌ يضرب للذي يُعْرِض عن الأمر كأنه لم يشعر به، ويضرب للمتهافت في الشيء. (مجمع الأمثال ٣: ٥٢٠) .

(٦) لم يُؤْنَسْ منه الرُّشْدُ : لم يُعْلَمْ منه كمالُ العَقْلِ، وسَدَادُ الفِعْل، وحُسْنُ التَّصَرُّفِ .

(٧) المأبون: المُتَّهم المَرْميُّ بالسُّوء .

(٨) البُرْدُ: ثَوْبٌ فيه خطوط، أو ثوبٌ من الوَشْي ، وهو يكون من كلِّ لون .

(٩) ارْتَدَى به: لَبِسَهُ.

(١٠) اتَّزرَ به: لَبِسَهُ.

(١١) ثَمِلَ: سَكِرَ وأخَذَ فيه الشَّرابُ .

(١٢) الأبشار : جمع بَشَرة ، وهي ظاهر الجِلْدِ. أي جُبِيَتِ الأموال من الناس بِضَرْبهم وجَلْدِهم.

(١٣) هَتَكَ السِّتْرَ هَتْكاً : وهو أنْ تَجْذِبَهُ حتى تَنْزِعَهُ من مكانه، أو تَشُقَّه حتى يَظْهَرَ ما وراءَه. أي فُضِحَتِ العَوْراتُ واطُّلِعَ على المساوئ .

عليهما من غير حِلّه[١]، ووُضِعَ في غير حَقّه، ثم الْتَفَتَ إلى إحداهما فقال : ألاَ أطيرُ. بلى، فَطِرْ إلى النارِ، أفكهذا صِفَةُ خُلفَاءِ الله؟!

وقَدْ حَضَرْتُ كتاباً كَتَبَهُ إليكم هشامٌ في حَطْمَةٍ[٢] كانت، أرضاكمْ به، وأسخطَ رَبَّهُ، ذكرَ فيه أنه قد تَرَكَ لكم صَدَقاتِكُمْ[٣]، فزادت الغنيَّ غنىً والفقيرَ فقراً. فَقُلْتُمْ جَزاهُ الله خيراً، بل لا جزاهُ الله إلاَّ شراً، فلقد كانَ بخيلاً بماله،[٤] سخياً بدينه[٥]. فهؤلاء بنو أمية، فِرَقُ الضَّلالةِ، بَطْشُهمْ[٦] بطشُ جَبْرِيَّةٍ،[٧] يأخذونَ بالظنِّ[٨]، ويَحْكُمونَ بالهَوى[٩]، ويَقْتلون على الغَضَبِ، ويَقْضُونَ بالشَّفاعةِ[١٠]، ويأخذونَ الصَّدَقةَ من غير موْضِعها[١١]. ويَجْعَلُونَها في غير أهْلِها، وقد بيَّن الله أصنافَها الثَّمانية[١٢]، فجاءَ صِنْفٌ تاسعٌ ليس له منها شيءٌ ، فأخذَها كلَّها، فهي الفِرْقَةُ الحاكِمةُ بغيرِ ما أنزلَ الله .

---

(١) الحِلُّ : الحَلاَلُ ، نَقِيضُ الحرام .

(٢) الحَطْمَةُ : الأزْمَةُ والسَّنَةُ الشديدة الجَدْبِ .

(٣) الصَّدَقات : الحُقوقُ التي تُسْتَوْفَى من أرباب الإبل والغَنَمِ على ما بَيَّن الله تعالى في كتابه الكريم .

(٤) يشير إلى ما يذكرُ عن هشام بن عبد الملك من أنه كان جمَّاعاً للمال حَرِيصاً عليه شحيحاً به.

(٥) السَّخيُّ بدينهِ: المُفَرِّط فيه المُتهَاوِنُ به.

(٦) البَطْشُ : الأخْذُ القَويُّ الشَّديد.

(٧) الجَبْرِيَّةُ : التكبُّرُ والتَّجبُّرُ والقَهْرُ.

(٨) الظن : التُّهمة والشَّكُّ الذي يَعْرِضُ لك في الشَّيءِ فَتُحَقِّقُهُ وتحكم به .

(٩) الهوى : إرادةُ النَّفْسِ ورَغبتُها وشَهْوَتها .

(١٠) الشَّفَاعة : كلامُ الشَّفيعِ للمَلِكِ في حاجةٍ يسألُها لغيره .

(١١) من غير مَوْضعها : بالباطل وغير الحَقِّ ، أو مِمَّن لا تَجبُ عليه .

(١٢) يريدُ قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٦٠].

وأمَّا هذِهِ الشِّيَعُ فَشِيَعٌ جَهِلتْ كتابَ الله، وأعْظَمتِ[١] الفِرْيَةَ[٢] على الله، لم يُقاربوا[٣] الناسَ بعملٍ بالغٍ[٤] في الدِّينِ، ولا ببَصرٍ نافذٍ[٥] في القرآن. يُنْكِرُونَ المَعْصِيةَ على مَنْ عَمِلَها، ويَرْتَكبونَ أعظمَ منها، يُبْصِرُون الفِتْنَةَ، ولا يَعْرِفُونَ المَخْرَجَ منها، يُؤمِّلُونَ الدُّوَلَ فيما بعدَ الموتِ[٦]، ويُؤْمنون ببعثٍ إلى الدُّنيا قبلَ يوم القيامة. جُفاةٌ[٧] عن الدِّين، أتباعُ كُهَّانٍ[٨]، قَلَّدُوا[٩] دِينهُم مَنْ لم يَنْظُرْ لهم[١٠] ﴿فَنَٰلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[١١] [التوبة: ٣٠].

يا أهْلَ مَكَّةَ، إنكم تُعيِّروني[١٢] بأصْحَابي، وتَزْعُمُونَ أنَّهم شَبَابٌ، وهل كانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ إلاَّ شباباً. أمَا إنِّي عَالِمٌ بِتَتَابُعكم[١٣] فيما يَضُرُّكم في مَعادِكم، ولولا اشْتِغَالي[١٤] بغيركم ما تَرَكْتُ الأخذَ[١٥] فوقَ أيديكم. نعم، شبابٌ مُكْتَهِلُون[١٦] في شبَابِهم، غَضِيضَةٌ[١٧] عن الشَّرِّ أعينُهمُ، بطيئةٌ عن الباطلِ أرْجُلُهم، قد

(١) أعْظَمَ الأمْرَ وعَظَّمَهُ: فَخَّمَهُ وهَوَّلَهُ وكَثَّره. والمراد بالغوا وأفْرَطُوا وأكثروا.

(٢) الفِرْية : الكَذِبُ.

(٣) قَارَب النَّاسَ : دَانَاهُم ونَاظَرهم وقَابَلهم ومَاثَلَهُمْ.

(٤) العملُ البالغ : النَّافذ يَبْلُغُ أينَ أُريدَ به.

(٥) البَصرُ النافذ : العِلْمُ الثَّاقب ، والنَّظرُ الجزْلُ والرَّأي المُتعمِّق.

(٦) أي ينتظرون الدُّول في رَجْعَة المَوْتى ، وكان غلاة الشيعةِ من السَّبَئِيَّة والكيسانيةيؤمنون بالغَيْبةِ والرَّجْعَةِ بعد الموت.

(٧) جَفَا عن الأمر : بَعُدَ عنه.

(٨) الكُهَّان : جمع كاهن، وهو الذي يتعاطَى الخَبَرَ عن الكائنات في مُسْتَقْبَلِ الزمانِ، ويدَّعي معرفةَ الأسرار، أي يتنبَّأ بالغَيْبِ.

(٩) قَلَّده الأمْرَ : ألْزَمه إياه، أو كَلَّفَهُ إيَّاهُ.

(١٠) نظر له : رَثَى له وأعانَهُ، أي رَقَّ له وراعاه.

(١١) أفَكَهُ عن الأمر: صَرَفَهُ عنه وقَلَبَهُ بالكَذِب.

(١٢) غَيَّرَهُ بالأمر : عَابَهُ به.

(١٣) التَّابُعُ في الشيء : التَّهافت فيه والمُتابعَةُ عليه، والإسراع إليه . وتَتابع الرَّجُلُ : رَمَى بنفسِه في الأمرِ سريعاً من غير تَثَبُّتٍ. والتَّابُعُ في الشَّرِّ كالتَّابع في الخير.

(١٤) اشْتَغَلَ بالأمر : تَعلَّقَ به، أو تَفَرَّغَ له وانْهَمَكَ فيه.

(١٥) أخذَ على يده : مَنَعَهُ عما يريد أن يَفْعَلَهُ، كأنه أمْسَكَ على يده. وهو قريب من قولهم ضرب على يده: إذا أفْسَدَ عليه أمراً أخذَ فيه.

(١٦) مُكْتَهِلُون : أي: لهم رزانة الكُهُول.

(١٧) غضيضة : من غَضَّ طَرْفَه وبَصَره، أي كَفَّهُ وخَفَضَهُ وكَسَرَهُ.

نَظرَ ا للهُ إليهم في حَنادِسِ[١] الليلِ مُنْثَنِيةً أصْلابهم[٢] بمثاني[٣] القرآن، إذا مرَّ أحدُهم بآيةٍ فيها ذِكْرُ الجنةِ بكَى شَوقاً، وإذا مرَّ بآيةٍ فيها ذِكْرُ النَّارِ شَهِقَ شهقةً، حتى كأن زفيرَ جهنمَ[٤] في أُذُنَيْهِ ، قد وَصَلوا كَلاَلَهم[٥] بكَلالهم، كَلالَ ليلهم بكلال نَهارِهم، قد أكلتِ الأرضُ جِبَاههُمْ وأيديَهم ورُكَبهُمْ، مصفَّرةٌ ألوانُهم، ناحلةٌ أجْسَامُهُمْ، أنضاءُ[٦] عبَادة، مُسْتقلُّونَ[٧] لذلك في ا لله، مُوفُونَ[٨] بعهدِهِ[٩] ومُتَنَجِّزونَ[١٠] لِوَعْدِهِ. إذا رأوا سِهَامَ العَدُوِّ قد فُوِّقَتْ[١١]، ورِماحَهُمْ قد أُشرِعَتْ[١٢]، وسُيُوفَهُم قد انتُضِيَتْ،[١٣] وبَرَقتْ[١٤] الكتيبةُ، ورَعَدتْ[١٥] بِصَواعِق[١٦] الموتِ، استهانوا[١٧] بوعيدِ[١٨] الكتيبة

(١) الحَنادِس: جمع حَنْدِسٍ ، وهو الظُّلمةُ الشديدة .

(٢) الأصْلابُ : جمع صُلْبٍ ، وهو الظهر .

(٣) مثاني القرآن : قيل سور أولها البقرة وآخرها براءة ، وقيل : ما كان دون المئين ، كأن المئينَ جُعِلَتْ مَبَادِيَ، والتي تليها مثاني، وقيل : هي القرآن كله .

(٤) زفير جهنم : صَوتُ لَهِيبها واتقادها .

(٥) الكلال : التَّعب والإعْياء.

(٦) أنضاء: جمع نِضْو، وهو المهزول .

(٧) اسْتَقَل الشيء : رآه قليلاً .

(٨) أوْفَى بالأمر : أنجزه وأتَمَّه من غير نَقْصٍ .

(٩) العَهْد : الميثاق .

(١٠) التَّنجُّز : طلبُ شيءٍ قد وُعِدْتَه . وتَنَجَّزَ الحاجةَ : سأل إنجازها واسْتَنْجَحَها .

(١١) فَوَّق السهم : جَعَلَ له فُوقاً ، وهو مَوْضِعُ الوَتَرِ من السَّهْمِ، يُصْنَعُ به ذلك إذا أُعِدَّ للرَّمْي.

(١٢) أشْرَع الرمحَ : سَدَّده وصَوَّبه .

(١٣) انْتضَى السيفَ : استَلَّه من غِمْدِهِ وأخرجه .

(١٤) برقت الكتيبةُ : لَمَع سِلاحُها. والمرَاد تهَدَّدَتْ وأوْعَدَتْ .

(١٥) رعدت : تهدَّدت وأوْعَدَت .

(١٦) الصَّواعق : جمع صاعقة ، وهي النار لا تَمُرُّ بشيءٍ إلاَّ أحْرَقَتْهُ مع وقعٍ شديد .

(١٧) استهان بالأمرِ : استخفَّ به .

(١٨) وعيد الكتيبة : شَرُّها وخطرها، ووَعيدُ ا للهِ : عِقَابُه وجزاؤه .

لوعيد الله. فَمَضَى الشَّاب منهم قُدماً حتى تختلفَ رجلاه[١] على عُنُق فَرَسِه، وقد رُمِّلَتْ[٢] محاسنُ وَجْهِهِ بالدِّماء ، وعُفِّرَ[٣] جَبِينُه بالثَّرى، وأسْرَعَتْ إليه سباعُ الأرض[٤]. فكم من عينٍ في منقارِ طائرٍ طالما بكَى صاحبُها من خشيةِ الله؟! وكَمْ من كفٍّ بائنةٍ[٥] طالما اعتمدَ عليها صاحبُها في سُجُودِهِ في جَوْفِ الليلِ لله؟! وكم من خدٍّ رقيق[٦] وجبينٍ عتيقٍ[٧] قد فُلِّقَ[٨] بعمَدِ[٩] الحديدِ؟! رحمة الله على تلك الأبدانِ، وأدخلَ أرواحَها الجنانَ».

٢ ـ خُطْبَةٌ لأبي حَمْزَةَ المُخْتَارِ بنِ عَوفٍ الأَزْدِيِّ الشَّارِي بالمَدِينةِ

الأغاني ٢٣ : ٢٣٧

وتاريخ الرسل والملوك ٧: ٣٩٤

والكامل في التاريخ ٥: ٣٨٩

وشرح نهج البلاغة ٥: ١١٤

لَمَّا دَخَلَ أبو حَمْزَةَ المُخْتَارُ بنُ عَوْفٍ الأَزْدِيُّ المَدِينةَ سنةَ ثلاثين ومائةٍ رَقِيَ المِنبرَ، فحمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه، وقالَ:

«يا أهلَ المدينةِ، سَألناكم عن وُلاتِكم هؤلاءِ، فأسأتُمْ لعمرُ اللهِ فيهم القَولَ. وسَألناكم : هل يَقْتلُونَ بالظَّنِّ؟ فقلتُم: نعم. وسألناكم : هل يَسْتَحِلُّونَ المالَ الحرامَ والفرْجَ الحرامَ؟ فقلتُم : نعم. فقلنا لكم: تعالَوْا نحنُ وأنتمُ، فَنُنَاشِدْهم اللهَ أن يَتنحَّوْا عنَّا وعنكم ، ليختار المسلمونَ لأنفسهم. فقلتُم: لا تَفْعَلُونَ. فقلنا لكم : تعالَوْا نحن وأنتم

(١) اختلفت رجلاه : اضطربتا واهتزتا .

(٢) رُمِّلت : لُطِّخت .

(٣) عُفِّر : غَطَّاه العَفَرُ ، أي التراب .

(٤) سباع الأرض : هو ما يَفْتَرِسُ الحيوانَ ويأكُلُهُ قهراً وقسراً كالأسدِ والنمرِ والذئب ونحوها .

(٥) بائنة : مقطوعة زائلة .

(٦) الرقيق : الناعم .

(٧) العتيق : الكريم .

(٨) فُلِّق : شُقَّ وشُدِخ .

(٩) العَمَدُ : جمع عَمُودٍ، وهو القضيب .

نلْقاهم ، فإنْ نَظْهَرْ نحنُ وأنتم ناتِ بمن يقيمُ فينا كتابَ ا لله وسنَّةَ نَبيِّه، وإنْ نَظْفَرْ نَعْدِلْ في أحْكامِكم، ونَحْمِلْكُم على سُنَّةِ نبيِّكم، ونَقْسِمْ فينكم بَيْنَكم. فأبَيْتُمْ وقَاتَلْتُمونا دُونَهم، فَقَاتلناكم. فأبعَدكم ا لله، وأسْحقَكم .

يا أهْلَ المدينةِ، مَرَرْتُ بكم في زمان الأحْولِ هِشامِ بن عبد الملك، وقد أصابتْكم عاهةٌ في ثماركم، فَرَكِبْتُم إليه تسألونه أنْ يَضَع أخراصَكُم[١] عنكم. فكتب بوضْعها عنكُم، فزادَ الغَنِيَّ غِنىً، وزَادَ الفقيرَ فقراً، فقلتُم: جزاكم ا لله خيراً. فلا جزاهُ ا لله خيراً، ولا جَزاكم»!

٣ ـ خُطْبَةٌ لأبي حَمْزَةَ المُخْتَارِ بنِ عَوفٍ الأَزْديِّ الشَّارِي بالمَدِينةِ

الأغاني ٢٣: ٢٣٩

وشرح نهج البلاغة ٥: ١١٦

خَطَبَ أبو حمزةَ المختارُ بنُ عَوْفٍ الأزْديُّ بالمدينةِ، فحمِدَ ا للهَ وأثْنَى عليه، ثم قالَ:

« يا أهْلَ المدينةِ، مالي رأيتُ رَسْمَ الدِّين فيكم عَافياً[٢]، وآثارَهُ دارسةً[٣]! لا تَقْبَلُونَ عليه عِظةً، ولا تَفْقَهُونَ[٤] من أهلِه حُجَّةً. قد بَلِيتْ فيكم جِدَّتُهُ، وانْطَمَسَتْ[٥] عنكم سُنَّتُهُ. تروْنَ مَعْروفَهُ مُنكراً، والمُنكرَ من غَيْرِهِ مَعْروفاً . إذا انْكَشَفَتْ لكم[٦] العِبَرُ، وأُوضحَتْ لكم النُّذرُ[٧]، عميتْ عنها أبصارُكم، وصُمَّتْ[٨] عنها أسْماعكُم، ساهينَ في غَمرةٍ[٩]، لاهينَ في غَفْلةٍ. تَنْبسطُ[١٠] قلوبُكم للِباطل إذا نُشِرَ، وتَنْقَبِضُ عن الحق[١١] إذا

(١) الأخراص : جمع خِرْصٍ، وهو تَقْديرُ ما على النَّخْل من الرُّطب بالظَّنِّ ليؤخَذَ منه العُشْرُ، وكان الخَرَّاصُون يَفْعَلُون ذلك .

(٢) العافي : المُنْدَثر المُنْطَمِسُ .

(٣) الدارسة : البالية المُمَّحية .

(٤) فَقِهَ الشيء : عَلِمَهُ وفَهِمَهُ .

(٥) انْطَمَسَ الأثر : امَّحى وفَنِي وزال .

(٦) انكشفَ الأمرُ : اتَّضَحَ وظهرَ وَبَانَ .

(٧) النُذُرُ : جمع نذير، وهو اسم الإنذار، أي: التَّخويف والتحذيرُ .

(٨) صُمَّ عن الشيء : انْسَدَّتْ عنه أُذُنُه وثَقُلَ سَمْعُهُ .

(٩) الغمرة : الجهل والعماية والحيرة .

(١٠) انبسط قلبه : انشرح وفرح واسْتَبْشَرَ .

(١١) انقبض قلبه : انْغَلَقَ وانطَوى وانْكَتَبَ .

ذُكِر، مستوحِشَةً من العلْمِ[١]، مستأنِسَةً[٢] بالجَهْلِ، كلما وقعتْ عليها مَوْعِظَةٌ زادَتْها عن الحقِّ نُفوراً، تحمِلون منها في صُدُوركم كالحجارةِ أو أشدَّ قسوةً من الحجارةِ، أوَلم تَلنْ لكتابِ ا لله الذي لو أُنْزِلَ على جَبَلٍ لرأيتَه خَاشعاً مُتَصدِّعاً من خَشيةِ ا لله! يا أهلَ المدينةِ، ما تُغْنِي عنكم صِحَّةُ أبدانِكم إذا سَقِمت[٣] قلوبُكم! إنَّ ا لله قد جَعَلَ لكلِّ شيء غَالباً يُقادُ له، ويطيعُ أمرَه، وجعلَ القلوبَ غالبةً على الأبدان، فإذا مالتِ القلوبُ مَيلاً كانت الأبدانُ لها تَبَعاً. وإنَّ القلوبَ لا تلينُ لأهلِها إلاَّ بصحَّتها، ولا يُصَحِّحُها إلا المعرفةُ با لله، وقوةُ النِّية، ونفاذُ[٤] البصيرةِ. ولو استشعرتْ[٥] تقوى ا للهِ قلوبُكم لاسْتُعْمِلَتْ بطاعة ا لله أبدانَكم. يا أهلَ المدينةِ، دارُكم دارُ الهِجرة، ومَثْوى رسول ا لله ﷺ، لمَّا نَبَتْ به دارُه[٦]، وضَاق به قرارُه[٧]، وآذاه الأعداءُ، وتَجهَّمَتْ له[٨]، فَنَقَلَهُ إلى قومٍ لعَمْري لم يكونُوا أمثالَكم مُتوازرين[٩] مع الحقِّ على الباطلِ، ومختارين للآجلِ على العاجلِ، يَصْبِرُون للضَّرَّاء رجاءَ ثوابِها، فنَصَرُوا ا لله، وجاهدوا في سبيله، وآوَوْا[١٠] رسول ا لله ﷺ، ونصروه، واتَّبعوا النورَ الذي أُنْزل معه، وآثروا ا لله على أنفسهم ولو كانت بهم خَصاصَةٌ[١١]، قال ا لله تعالى لهم ولأمثالِهم ولَمن اهتدى بهُداهم: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩]. وأنتم أبناؤهم، ومن بَقِيَ من خَلَفِهم، تتركونَ أنْ تَقتَدوا بهم، أو تأخذُوا بسنَّتِهم، عُمْيُ القلوبِ، صُمّ الآذان، اتَّبعتُم

---

(١) استوحَش منه: فزع منه ولم يأنس به.

(٢) استأنسَ به: اطمأن إليه وأمِنَ به.

(٣) سقم قَلْبُهُ: مَرِضَ.

(٤) نفاذ البصيرة: الفِطْنَةُ وجَزَالةُ الرَّأي وحِدَّةُ النَّظر ومَضاؤه وسَدَاده.

(٥) استشْعَر الشيء: أحسَّ به وفَطِنَ له وعَلِمَهُ.

(٦) نَبَتْ به داره: لم تُوافِقْهُ.

(٧) القرارُ: الاستقرار والسُّكُونُ والثُّبوت.

(٨) تَجهَّم له: استَقْبَلَهُ بوَجْهٍ كريهٍ مُكْفَهِرٍّ.

(٩) وَازره على الأمرِ: أعَانَهُ وقوَّاه، والأصل آزره.

(١٠) آواه: ضَمَّهُ إليه وحَاطَهُ وحَفِظَهُ وتَعَهَّدَهُ ورعاه.

(١١) الخصاصة: الفقر وسوء الحال والحاجة.

الهَوى، فأرْدَاكم[١] عن الهُدَى وأسْهاكم. فلا مَواعظُ القرآن تزجرُكم فـتَزدَجروا[٢]، ولا تعِظُكم فتعتَبروا، ولا تُوقظكم فتستيقظُوا. لبئس الخَلفُ أنتم من قوم مَضَوْا قبلَكم! ما سِرتُم بسيرتهم، ولا حَفِظتُم وصيَّتَهم، ولا احتذيتُم مثالَهم، لو شُقَّت عنهم قبورُهم، فعُرِضَت عليهم أعمالُكم لعَجِبُوا كيف صُرِفَ العذابُ عنكم » !

٤ ـ خُطْبَةٌ لأبي حَمْزَةَ المختارِ بنِ عَوْفٍ الأزْديِّ الشَّارِي بالمَدِينةِ

الأغاني ٢٣ : ٢٣٧

وتاريخ الرسل والملوك ٧: ٣٩٥

والعقد ٤: ١٤٤

والكامل في التاريخ ٥: ٣٨٩

رَقِيَ أبو حَمْزَةَ المختارُ بنُ عَوْفٍ الأزديُّ المِنْبَرَ، فَحمِدَ ا لله وأثْنى عليه، وقال :

« أتعلمونَ يا أهلَ المدينةِ، أنَّا لم نَخْرُجْ من ديارنا وَ أموالِنا أشَراً[٣] ولا بَطراً[٤] ولا عَبَثاً ولا لهواً، ولا لدولةِ مُلْكٍ نُريدُ أن نخوضَ فيه[٥]، ولا ثأرٍ قديمٍ نِيلَ منا، ولكنَّا لـمَّا رأينا مصابيحَ الحَقِّ[٦] قد عُطِّلتْ، وعُنِّفَ القائل بالحقِّ، وقُتِلَ القائمُ بالقِسطِ[٧]، ضاقتْ علينا الأرضُ بما رَحُبَتْ، وسَمِعنا داعياً يدعو إلى طاعةِ الرحمنِ وحُكمِ القرآنِ، فأَجَبْنا داعيَ ا لله ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الأحقاف: ٣٢]. فأقْبَلْنا من قبائلَ شتَّى، النفرُ منا على بعيرٍ واحدٍ ، عليه زادُهم وأنفسُهم، يتعاورُون[٨] لِحافاً واحداً، قليلُون مُسْتَضعَفُون في الأرض، فآوانا ا لله[٩]، وأيَّدَنا بنَصْرِهِ، وأصْبَحْنا وا للهِ بنعمتِهِ

---

(١) أرداه عن الأمر : دَفَعَهُ عنه وَصَدَّه .

(٢) ازْدَجَرَ : كفَّ وارْتَدَع .

(٣) الأشر : المرح والبطر والتبختر والاختيال .

(٤) البطر : التكبُّر والتَّبختُرُ وشدة المرح والطغيان في النعمة .

(٥) خاض في الملك : تَلَبَّسَ به وتَصرَّفَ فيه .

(٦) مصابيح الحق : سُرُجُهُ وأعْلامُهُ التي تَهْدي إليه .

(٧) القسط : العَدْل .

(٨) يتعاورون : يتداولون .

(٩) آواه : ضمَّه إليه وحاطه وحفظه وتَعَهَّده ورعاه .

إخواناً. ثم لقِينا رجالَكم بقُدَيْد[١]، فَدَعَوْناهم إلى طاعةِ الرحمنِ ، وحُكْمِ القرآن، ودَعَوْنا إلى طاعةِ الشيْطان، وحُكْمِ مَرْوانَ، وآلِ مَرْوان، شَتّان لعمرُ ا لله، ما بينَ الغَيّ والرُّشد! ثم أقبلوا يُهْرعون،[٢] ويَزِفُّون[٣]، قد ضربَ الشيطانُ فيهم بجرانه،[٤]، وغَلَتْ بدمائهم مَراجلُه، وصَدَّق عليهم ظَنُّه[٥]. وأقبلَ أنصارُ ا للهِ عصائبَ وكتائبَ بكل مُهَنَّدٍ ذي رونَق[٦]، فدَارَتْ رحانا[٧]، واستدارَتْ رَحاهم[٨]، بضَرْبٍ يَرْتَابُ منه المُبطِلُون[٩]. وأنتم يا أهلَ المدينة، إنْ تَنْصُروا مروان وآلَ مروان يُسْحِتْكم[١٠] ا لله بعذابٍ من عنده أو بأيدِينا، ويشْف صدورَ قومٍ مُؤمنين. يا أهلَ المَدِينَةِ، إنَّ أوَّلَكُمْ خيرُ أوَّلٍ، وآخركم شرُّ آخرٍ. يا أهلَ المدينةِ، الناسُ منا ونحن منهم إلاَّ مُشْركاً عابدَ وَثَنٍ، أو كافراً من أهلِ الكتاب، أو إماماً جائراً. يا أهلَ المدينةِ، مَنْ زَعَم أنَّ ا لله تعالى كلَّف نفساً فَوْقَ طاقَتِها ، أو سألَها عمَّا لم يُؤتِها فهو لله عدوٌّ، ولنا حَرْبٌ. يا أهلَ المدينةِ ، أخْبِروني عن ثمانيةِ أسهم فرضَها ا لله تعالى في كتابه على القَوِيِّ للضَّعيف، فجاء التاسعُ ، وليس له منها ولا سَهْمٌ واحدٌ، فأخذ جميعَها لِنَفْسِه مُكابراً[١١] مُحارباً لربِّهِ ، ما تَقُولونَ فيه وفيمن عَاوَنَه على فِعْله؟ يا أهلَ المدينةِ، بلغني أنكم تَنْتَقِصُون[١٢] أصحابي، قلتم: هم شبابٌ أحداثٌ[١٣]، وأعرابٌ جفاةٌ،[١٤] ويْحَكم يا أهلَ المدينةِ ! وهل كانَ أصحابُ رسول ا لله ﷺ إلاَّ شباباً أحداثاً!

---

(١) قديد : موضع قرب مكة .

(٢) يهرعون : يخفون .

(٣) يزفون : مُسْرعون .

(٤) ضرب الشيْطان فيهم بجرانه : ثبت فيهم واستقر كما أن البعير إذا برك واستراح مدَّ جرانه على الأرض، أي: عُنُقه .

(٥) صدق عليهم إبليسُ ظنَّه : حقق ظنه حين قال :﴿ولأُضِلَّنهم ولأُمَنِّيَنَّهم﴾، لأنه قال ذلك ظاناً، فحقّقه في الضَّالين .

(٦) الرَّوْنَقُ : ماء السيف وصَفَاؤُه وحُسْنُه .

(٧) دارتْ رحانا : عَمِلَتْ وطَحَنَتْ . والمراد كان لنا النَّصْرُ والغَلَبَة .

(٨) استدارتْ رَحاهُم : انْقَلَبَتْ وتَعَطَّلَتْ. والمراد حَلَّتْ بهم الهزيمة ودارت عليهم الدوائر .

(٩) المبطلون: غير موجودة في الأصل.

(١٠) أسْحَتَهُ ا لله : أهْلَكَهُ واسْتأصَلَهُ .

(١١) المكابر : المعاند المُغالب .

(١٢) انتقصه : عابه وطعن عليه .

(١٣) أحْدَاث : جمع حدث، وهو فَتِيُّ السِّنِّ .

(١٤) الجفاةُ : جمع جافٍ : وهو الكزُّ الغليظ العِشْرَةِ والخُرْقِ في المعاملة والتحاملِ عند الغضبِ والسَّوْرةِ على الجليس .